

العمل والراحة

قال تسون الشاعر الانكليزي المشهور "خمسون سنة في اوربا خير من دهر في الصين"
وعند الصينيين مثل وهو "يوم واحد مثل ثلاثة ايام" يريدون بذلك انك اذا عرفت كيف
تغتنم الفرص لانعام عمل ما فيوم واحد يساوي ثلاثة. وقال السر والتر سكوت في احدي قصائده
ما معناه "ساعة من حياة مجيدة تساوي عمراً بلا اسم ولا شهرة"

ويرى الباحث المدقق ان الناس على اختلاف طبقاتهم وعصومهم ومعارفهم اتفقوا على هذه
الحقيقة وهي ان الانسان قد يستطيع اتيان الاعمال العظيمة باجهد قواء في اوقات قصيرة وان
الدقائق والساعات كالناس متفاوتة في الرتبة والمنزلة

الحيوان — ضرب الناس الامثال منذ القدم يجد بعض انواع الحيوان وكسل الآخر فن
ذلك جد النملة وكسل الصرصور وسبي السلخانة ونوم الارنب وحكايتهما معروفة . ولكن العلم
والبحث يشبان ان الانسان غالى في اتيان بعض الحيوانات بالاكثار من الحركة . فان اجراء
المرّة لا تقضي اكثر وقتها في الحركة كما يظن . وصغار الاولاد لا يقضون اكثر يومهم في
العب كما هو المشاهد بل يقضي الفريقان جانباً كبيراً من وقتها في الراحة والسكينة

ثم ان هناك حيوانات ليلية قبل انها لا تنقطع عن العمل ليلاً ولا نهاراً منها حشرة
مكرسكوبية قال الدكتور هرج والدكتور ايكس انها تعمل على الدوام وليس لها فترة تنقطع
فيها عن العمل مثل الحيوانات العليا . وبعبارة اخرى انها لا تكل ولا تنام . لكن هذا الحكم
يصدق عليها اذا وافقتها الاحوال وهذا لا يصح لها فيمر بها دور راحة تنقطع فيه عن العمل
انقطاعاً الزامياً ناشئاً عن عدم ملائمة الاحوال الخارجية لها

وكما ارنطينا في سلم الحيوان رأينا تفاوتاً بين الحيوانات في مدد عملها وراحتها فالاسماك
وذوات الفقرات الدنيا تنام مدات طويلة ثم تعود الى الحركة والعمل مجدداً ونشاط وكذلك الاسد
والنمر والفيل والجلد والفرس وسائر انواع الحيوان تنام ثم تستيقظ قوية نشيطة الى العمل . وكما
طالت مدة يقظة الحيوان وحركته طال مدة نومه وراحتة

ومن الحيوانات ما يقضي جانباً كبيراً من عمره في سبات عميق ثورقف مدته على الاقليم
والنوع . ولا يعلم مقدار ما يفعله هذا السبات بقوى الحيوان العقلية والبدنية حال يقظته
وحركته ولكن لما كان السبات عاملاً من العوامل في الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب لذلك
دليل على انه لم يكن خالياً من النفع للحيوان . وما يقال عن العجاوات التي تنام طويلاً

يقال عن الانسان الذي يفعل فعلها مثل بعض فلاحي روسيا الذين ينمون أكثر فصل الشتاء اقتصاداً في النقطة

الطفل — من المعلوم ان الطفل مغرم باللعب واجهاد قواه البدنية الى درجة الاعياء وكذلك اجهاد قواه العقلية عند ما يبدأ بالتكلم في محاولة النطق وشدة الاصغاء ونقلد حركات من حوله وسكناتهم حتى اذا اكل وملّ ثاب الى السكينة والراحة . وعليه فهو يقضي معظم الوقت قبل دخول المدرسة في اللعب والرياضة ما عدا اوقات الاكل والنوم . فكأنه مسوق الى ذلك بقوة تدفعه الى اجهاد قواه غاية الاجهاد

يستخرج مما تقدم ان المدرسة تضر الطفل بطول مدة الدرس والعمل قبل الظهر وبمده فيجدد بالمدرسين ان يفتخروا الفرص القصيرة التي تكون قوى الطفل فيها مثيابة للشغل والعمل ليطبعوا فيها ما يريدون طبعه في ذهنه ولا نظن انه يلزم المعلم أكثر من ساعة لتعليم الطفل ونقته في حالة غمور . ولذلك قام كثيرون في جميع أنحاء العالم يقولون بوجوب تقليل ساعات الدرس . وذلك عين الصواب ان صح ما يقال من ان دقائق قليلة وقوى الطفل على اشدها انتباهاً او فرقة من بقية نهاره

ومن خصوصيات الاطفال سرعة انتقالهم من الحركة الى السكون ومن الذكاء والنباهة الى الخمول والبلادة ولو في الظاهر ومن العمل الى البطالة عقلياً وبدنياً والصد بالصد . فقد يتفق كثيراً ان المعلم يحاول تعليم الاولاد شيئاً يقولونه في الاحتفالات العمومية ويبدل المجهود في ذلك فلا ينجح لما يراه فيهم من الاهمال وعدم الانتباه والخمول في الظاهر حتى يستولي اليأس عليه ولكن اذا جاءت الساعة الموعودة اظهروا من الذكاء والنجابة ما يحيرهم ويقضي عليه بالعجب والدهشة

المرأة — جاء في المثل الانكليزي ان المرأة لانهم عملها . وفي هذا ما فيه من الاجحاف يحقها فقد قال احد العلماء ان الاعمال التي تستوجب ساعداً شديد العضل لا تاتمها انما هي متروطة بالرجل واما العناية بالاولاد وسائر ما يتعلق بتدبير المنزل من الاعمال التي يكون اتفاق القوى فيها اطول مدة واقل شدة فتروطة بالمرأة . واما بين المتوحشين فان اعمال المرأة تشبه اعمال الرجل من حيث مشقة العمل وطول زمن الراحة وسرعة الانتقال من حال الى حال واما سرعة انتقال المرأة من حال الى حال فظاهر من سرعة ادراكها وشدة بدايتها . فاذا عرض للرجل والمرأة امر اشكل عليهما حلّه او وقع في حيرة وارتيابك فالثالب ان المرأة تجد مناصاً لها منه قبل الرجل . وفي التاريخ حوادث كثيرة تمكنت المرأة فيها من تخليص ذويها ببدايتها وتفنتها في استبطاط الحيلة

على ان نسماً كبيراً من عمل المرأة في البلاد المتقدمة ليلي كالرقص والمسامرة والتثليل في الملاهي والمرافض ونحو ذلك مما يعدُّ عمل النهار بازائه راحة لا تعباً ومما فاقت الرجل فيه النابغة — لقد كثرت كلام الناس على النوايع فالتفتوا الى الموهبة العقلية التي يمتازون بها من حيث علاقتها بالاعمال التي عملوها فقالوا ان الموهبة مظهر من مظاهر النشاط وانها ليست الا العمل والاجتهاد اوهي مقدرة الانسان على العمل الشاق . وانما جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد ما يرونه من ان النوايع مضطرون الى العمل الشاق ليعيشوا والى العمل الطويل لينالوا الثمرة وتظهر مواهبهم . ولكن النوايع الحقيقيين يحتمون اعمالهم العظيمة باجتهاد توأم في مدات قصيرة لا بالعمل المستمر ولا بالتعب الطويل

ومن الغريب ان النابغة يمتاز بقابليته للانتقال بسرعة البرق من حال الى حال كأنه يجمع بين الاضداد فينتقل من درجة سيولة القريحة الى جمودها في اقل من لمح البصر ومن الحكمة والذكاء الى الجهل والبلاهة ومن الاجتهاد في اقصى درجاته الى التمول في ادنى دركاته حتى كتب احدهم كتاباً في بلاهة النوايع . وليست البلاهة في النوايع الا امرأ طبعياً وما من نار الا وتحب بعد ذكائها . فقد قال بعضهم اذا بطل الالهام للنابغة عاد رجلاً مثل سائر الناس ان لم نقل اقل منهم . واعظم نوايع الشعراء نظموا ارك انواع الشعر

المجرب — قال بعض العلماء ان المجرب كثير الكسل الا انه قد تمر به دقائق ينشط فيها للعمل فيأتي اعظم الجرائم والمنكرات كالسكر والغلاعة والعصب . قال احد النشالين لعالم من العلماء اذا عرضت لنا التجربة لا يستطيع احد منا ان يكبح جماح نفسه فلا بد لنا من السرقة . وعند ما يرتكب المجرمون جرائمهم يظهرون اقداما عظيماً وانتعالا قوياً واحتيالاً غريباً ثم لا يلبثون ان يعودوا الى التمول والسكون مدة طويلة

المتوحش — المتوحش يكره العمل بشهادة السياح والفلاسفة ثم ان علماء اللغات زكوا هذه الشهادة بان ابانوا ان الكلمات المستعملة للعمل في كثير من اللغات كالعبرانية واليونانية واللاتينية والفرنسية والايطالية انما تعني التعب والمشقة . ومن رأي بعض العلماء ان اعياد العمل من مبتكرات الانسان المتقدم . على ان الشعوب المتوحشة تعمل اعمالاً كثيرة وان تكن البواعث التي تحملها على العمل ليست نفس البواعث التي تحمل الامم المتقدمة عليه . وليس كرهها للعمل ناشئاً عن التعب البدني بدليل انها تعمل بعض اعمالها ك بعض انواع الرقص مثلاً حتى تكل فتقطع عنه من فرط التعب والاعياء . بل هو ناشئ عن اجهاد الفكر والارادة . فكره المتوحش للعمل مصدره عقلي لا بدني وهو يجد بالرقص وما اشبهه من الحركات وسيلة سهلة

لانفاق القوة العصبية المذخورة في دماغه من غير ان ينزعج
 هذا وقد كتب احد العلماء كتاباً في وصف بعض القبائل المتوحشة . وما قال فيهم انهم
 جامعون للاضداد فهم اسرع الناس في قضاء الاعمال وابطاها وهم اقوام واضعفتهم واميلهم الى
 الحرب والينهم عريكة . وانتقلهم من حالة الى ضدها يتم باسرع من وبيض البرق . واذا
 جلسوا للراحة بعد العمل طالت مدة استراحتهم كثيراً . فانهم يطاردون الغزال مثلاً ساعات
 متوالية ويغزون القبائل المجاورة لهم اياماً متتابعة ومع ذلك فالمعروف عنهم وعن نسائهم واولادهم
 انهم يقضون معظم اوقاتهم مستلقين على ظهورهم ممترخين في التراب . فاذا قيس عملهم
 بالساعات وجب ان تقاس راحتهم بالايام

الجنس — لا يعد ان يكون لكل شعب من الشعوب اوقات ينتقل فيها من العمل الى
 البطالة ومن البطالة الى العمل ويصح ذلك بنوع خاص اذا فرضنا ان للشعوب صفات ذاتية
 تقابل المواهب التي يمتاز بها النوايع . فقد قال احد علماء الانكليز في الكلام على نوايع الامة
 الانكليزية ان لظهورهم وانقطاعهم ادواراً كما يظهر من توزيعهم في القرون وانصاف القرون .
 فعصور التاريخ كعصر الملكة اليبابات وعصر الملكة فكتوريا في تاريخ الانكليز وعصر القيصر
 اوغسطس في تاريخ الرومان وعصر بركليس في تاريخ اليونان وما اشبهها من العصور في تواريخ
 الامم الاخرى كلها ادلة على وجود النوايع في قترات قصيرة على حين ان العصور المظلمة طويلة المدة
 ولم يقم فيها نابغة . ألا ترى ان ثورات اوربا المختلفة وحوادثها السياسية العظيمة والاختراعات
 والاكتشافات حدثت في عصر بركليس عند اليونان القدماء وعصر اليبابات وفكتوريا عند
 الانكليز وفي هذا العصر عند الاميركيين وتليه في الشعوب كما في الافراد نتم عظام الاعمال
 في اقل الاوقات . يتم في سنة ما لا يتم في قرن

يظهر مما تقدم ان اجهاد القوى لا تمام الاعمال في مدات قصيرة واتباع ذلك بمدات اطول
 للراحة خير نظام يمكن اتباعه في الاعمال كما اثبت الاخبار والادلة الكثيرة في طرق ترويض
 الانسان والحيوان وتقصير اوقات الدرس الى نصف ما هي عليه وانقاص ساعات العمل للعمال
 ومستخدمي المحلات التجارية . وقد ابان بعضهم ان ساعتين من العمل البدني او العضلي في اليوم
 تكفيان الناس اذا امكن توزيع نتائجها عليهم بالتسبط بعد ما تم من الاثنان في الآلات التي
 تنفي عن يد الانسان والسهولة في طرق النقل . وما قيل في الاعمال البدنية يقال في الاشغال
 العقلية ايضاً . وهذا ما لا بد ان يتم في مستقبل الايام

(ملخصة من مقالة للدكتور الكسندر فرنسيس تسبرلن في مجلة العلم العام الاميركية)